الاحتلال بتر ساقي المصور غانم لكنه لم يبتر إرادته عاشق الكاميرا : سأحمل الكاميرا من جديد وإن كنت سأجلس على كرسي متحرك

غزة/ريما عبد القادر

«سأعود من جديد لأحمل كاميرتي التي أعشقها، حتى لو تطلب الأمر أن أكون على كرسي متحرك، كيف لا وهي جزء من حياتي، وإن بُترت قدماي فما زلت أملك أجزاء أخرى تستطيع أن تحمل الكاميرا».. بهذه الكلمات استهل المصور الصحفي عماد غانم مصور فضائية الأقصى حديثه معنا، وابتسامته المشرقة على وجهه كانت لا تفارقه إلا عندما تأتي اللحظات التي لا يستطيع فيها التغلب على آلامه.

عندما كان يسمع المرء بجرأة غانم وحبّه لتغطية الأحداث رغم خطورة الكثير منها، كان يظن أن له عمراً طويلاً في العمل الصحفي، لكن عندما تراه تدرك أنه لا يتجاوز الواحد والعشرين من العمر وأنه في مقتبل عمر العمل الصحفي. فعشقه للكاميرا كان قبل التحاقه بجامعة الأقصى في اختصاص صحافة قسم التصوير التلفزيوني، وإن كان للجامعة دور كبير في ازدياد هذا العشق لها.

كان غانم يحلم، مثل أي صحفي في مقتبل العمر، أن يعيش حياة المغامرة، خاصة وأن قطاع غزة أرض الأحداث الساخنة، حيث قال: «كان لدي طموح بأن أصل للقمة لأكون مميزاً مثل الكثيرين في العمل الصحفي، فرغم ما حدث لي إلا أنني ما زلت أكثر طموحاً لأن أصل للقمة ذاتها التي تمنيتها».

وتابع غانم بعد أن ارتسمت على وجهه ابتسامة تؤكد على أنه سيعود من جديد للعمل الصحفي مع عشقه الأول والأخير الكاميرا: «عندما يفقد الإنسان الطموح، فإنه بالتأكيد سوف يموت، حتى وإن لم يكن قد أصابه شيء».

عاد غانم للوراء بعض الشيء، وبالتحديد إلى يوم تعرّضه للإصابة في منطقة البريج من قبل قوات الاحتلال الإسرائيلي، وهو ممسك برفيقة دربه؛ الكاميرا، فكان كلما نظر إليها تجده أكثر ابتساماً.

وكان يرفض أن تغادر الكاميرا غرفته داخل مشفى دار الشفاء في غزة، وكان كلما نظر إليها تجد عيونه تخاطبها كأنه يقول لها: «لا تقلقي سأحتضنك من جديد، لكن انتظريني قليلاً، وإن كان الأمر صعباً بعض الشيء لكنه ليس مستحيلاً».

ويتابع حديثه بعد أن أنهى كلماته مع الكاميرا «كان فجر يوم الخميس ٢٠٠٧/٧/٥ عندما قمت للصلاة، وفي الساعة الخامسة حملت الكاميرا لأصور الاجتياح في مدينة البريج، وبدأت بتسجيل الأحداث وأشلاء الشهداء التي كانت تحيط بي من كافة الجوانب، مهنتي كصحفي لم تجعلني أنسى أنني إنسان، فكانت عينٌ تصور الأحداث وعيني الأخرى تبكي على دماء الشهداء».

وتحدث كما لو كان لا يزال يصور الاجتياح «قمت بمساعدة بعض الشباب الذين تواجدوا بالمنطقة في حمل المصابين والشهداء، فطلب مني أحدهم أن أترك هذا الأمر وأعود لعملي لتصوير ما يحدث، وبعدها بلحظات شعرت بأن شيئاً ما قد دخل جسدي، وأيقنت بأنني قد أصبت، فوقعت على الأرض وأوهمت الاحتلال أنني متّ فكان الرصاص فوق رأسي بشكل كثيف».

وأضاف بعد أن مسح عرقه عن جبهته المشرقة «كنت بالقرب من دبابة الاحتلال فأطلقت عليّ الرصاص، فكان يتطاير جسدي عن الأرض ويعود ثانية بفعل قوة رصاصاتها، وكنت كلما تحركت قليلاً أتعرض لنيران الدبابة، لأشعر بعدها بحرارة مرتفعة في قدمي، وقمت بتصوير مشاهد أخرى لكن ليس بالكاميرا هذه المرة وإنما في مخيلتي بأنني سوف استشهد وسأحمل على الأكتاف، وكيف ستكون ردة فعل عائلتي..».

وبعد أن تشبّع جسد غانم بالرصاص أغمض عينيه عن العالم، ليدخل في مرحلة الغيبوبة، ولم يستيقظ إلا عندما وضع داخل سيارة الإسعاف، فلم يكن يبصر ما يدور حوله، إلا أنه كان يسمع ما يحدث بالقرب منه. وبعد أن أمضى ساعات في غرفة العمليات في مستشفى الشفاء، استيقظ ليجد أن قدميه قد رحلتا عنه قبل أن تودعاه.

ورغم ما حدث لغانم إلا أنه كان يملك إرادة قوية، فكان يمد الآخرين بهذه الإرادة بدلاً من أن يحصل هو عليها منهم. وقال: «إن أصبت أنا فيوجد الكثير غيري من عشاق الكاميرا الذين سوف يواصلون رسالتهم الإعلامية، وسوف أعود لأحمل الكاميرا من جديد حتى لو تطلب مني الأمر أن أعمل على كرسي متحرك».

وتساءل وهو يبتسم كيف لا وأنا عاشق الكاميرا؟ موضحاً أنه قد صور مشاهد لجرائم الاحتلال وأشلاء الشهداء المتناثرة في منطقة البريج، لم يتم عرضها بعد على شاشة التلفاز.

وأشار إلى أنه منذ اليوم الذي حمل فيه الكاميرا وهو يدرك خطورة طريقه، وأنه سوف يتعرض للكثير من المصاعب، خاصة وأنه تعرض لأكثر من مرة لقصف الاحتلال أثناء تغطية الاجتياحات على قطاع غزة، لكنه كان ينجو، إلا أن هذه المرة أبت قذائف الاحتلال إلا أن تصيبه وتبتر ساقيه.

وكانت أول كلمة نطق بها والد عماد بعد أن قرأ خبر إصابة نجله: «الحمد لله، قدّر الله وما شاء فعل.. وبعدها ذهبت إلى المستشفى لأطمئن عن عماد لأجده في غرفة العمليات».

وأضاف: بعد أن علمت أن قدمَيْ عماد قد بترتا، كنت أسأل نفسي ماذا سأقول له؟ لا أعرف ماذا أفعل، إلا أنني عندما رأيت عماد وقد استيقظ من «البنج» وجدته يستقبلني بابتسامة الرضا، ليهون عليّ كثيراً من الأمر.

وأوضح والد عماد أن عماد أكثر أبنائه حباً لقلبه، وهو دائماً مرضي، ويحبه كل من عرفه، وهو يتسم بالطيبة والجرأة.

ويستذكر قبل يوم الحدث أنه وجد عماد نائماً على سريره فقال له: «ماذا تفعل يا عماد، أتصلّي وأنت نائم؟ انظر إلى ساقيك إنها «طالعة» من الفراش».

ويكمل بنبرة حزينة «لقد كان ولدي طويلاً».

وكان يجلس بجوار سرير غانم صديقه ورفيق دربه أحمد الصانع الذي يشعر بأن غانم أكثر من صديق، خاصة وأنهما كان زميلين في الجامعة وفي تخصص واحد.

وقال الصانع ونظرته لا تغيب عن غانم: «لقد اتسم غانم بالقوة، فلم يكن يخشى أحداً، ما جعلني أكثر قلقاً عليه».■